

التطور الدلالي للألفاظ القرآنية : من الدلالة القبليّة الجاهليّة إلى الدلالة الحضارية الجديدة

حوماد صليحة

جامعة جيلالي ليايس سيدي بلعباس (الجزائر)

E-mail(asbaich@gmail.com)

استلم: 24-07-2026 ، مقبول: 25-07-2026 ، نشر: 26-07-2026

The Semantic Development of Qur'anic Vocabulary: From Pre-Islamic Tribal Signification to a New Civilizational Meaning

ABSTRACT: *The Arabic language is considered one of the richest human languages in its capacity to generate meanings and reshape them over time, owing to the richness of its morphological and semantic structures, the breadth of its derivational potential, and its close connection to diverse cultural and social contexts. In pre-Islamic Arabia, lexical items functioned as semantic units that reflected the characteristics and values of the tribal society. However, the emergence of the Qur'anic text marked a pivotal moment in redirecting pre-Islamic meanings and generating new semantic horizons.*

The semantic development of Qur'anic vocabulary contributed significantly to the transition from a linguistic system rooted in pre-Islamic references to a comprehensive civilizational framework. The Qur'anic discourse is replete with forms of knowledge and profound insights into life and existence. Through its unique rhetorical miracle and remarkable aesthetic richness, the Holy Qur'an revitalized the Arabic language by activating its semantic capacities and rendering it capable of addressing all times and places. This reflects the Qur'an's substantial role in reconstructing Arab consciousness and transforming language into an instrument for the creation of civilization.

In light of the foregoing, the study of the semantic development of Qur'anic vocabulary is not merely a linguistic inquiry; rather, it is an exploration of how meaning is formed and how words evolved from limited expressive tools within the pre-Islamic context into major civilizational concepts that established a new understanding of humanity in particular and the world in general.

From this perspective, the present paper seeks to uncover the deep structures that contributed to the semantic transformation of Qur'anic vocabulary from tribal signification to civilizational meaning. In doing so, it addresses the following research questions:

- *How did the Qur'an engage with the pre-existing Arabic lexicon?*
- *Did the Qur'an abolish the old pre-Islamic meanings, or did it redirect them and generate new civilizational significations?*
- *Does semantic development in the Qur'an represent a civilizational transformation or merely a linguistic shift?*

KEYWORDS: *Qur'anic Vocabulary; Semantic Development; Civilizational Significance; Pre-Islamic Referential Framework.*

الملخص: تعد اللغة العربية من أكثر اللغات الإنسانية قدرةً على إنتاج المعاني و إعادة تشكيلها عبر الزمن ، نظرا لثراء بُنيّتها الصرفية و الدلالية ، واتساع إمكاناتها الاشتقاقية وارتباطها بمختلف السياقات الثقافية و الاجتماعية ، وقد مثّلت الألفاظ في العربية الجاهلية القديمة وحدات دلالية تعكس خصائص المجتمع الجاهلي . غير أن ظهور النص القرآني مثّل لحظة تحول مركزية في إعادة توجيه الدلالات الجاهلية و إنتاج دلالات جديدة . إذ ساهم التطور الدلالي للألفاظ القرآنية في الانتقال من البنية اللغوية ذات المرجعية الجاهلية إلى البنية الحضارية . فالخطاب القرآني نضّاج بأشكال المعرفة و أسرار الحياة و الوجود الكوني ، ذلك أنّ القرآن الكريم أتى بإعجاز بيانيٍّ أخّاذ و فيض جماليٍّ ، فقد أحيا اللغة العربية باستهلاك طاقاتها الدلالية و جعلها صالحة لكل زمان و مكان ، و هذا ما يعكس دوره الكبير في إعادة بناء الوعي العربيّ و تحويل اللغة إلى أداة لصناعة الحضارة .

و من خلال ما سبق ذكره إنّ موضوع التطور الدلالي للألفاظ القرآنية ليس مجرد دراسة لغوية بل هو بحث في كيفية تشكّل المعنى و تحول الألفاظ من أدوات تعبير محدودة في السياق الجاهلي إلى مفاهيم حضارية كبرى أسّست لوعي جديد بالإنسان خاصة و العالم عامة .

و من هذا المنطلق نسعى في هذه المداخلة إلى الكشف عن البنية العميقة التي ساهمت في التطور الدلالي للألفاظ القرآنية من الدلالة القبلية إلى الدلالة الحضارية معرّجين في ذلك على الإشكالات الآتية :

- كيف تعامل القرآن مع المعجم العربي السابق ؟

- هل ألغى القرآن الدلالات الجاهلية القديمة أم أعاد توجيهها و إنتاج دلالات حضارية جديدة ؟

- التطور الدلالي في القرآن يمثل انتقالا حضاريا أم مجرد انتقال لغوي ؟

الكلمات المفتاحية: الألفاظ القرآنية – التطور الدلالي – الدلالة الحضارية – المرجعية الجاهلية .

مقدمة

يشكّل القرآن الكريم نقطة التحول الكبرى في تاريخ العربية؛ إذ لم يكن نزوله مجرد حدث ديني، بل كان حدثاً لغوياً وحضارياً أعاد تشكيل البنية الدلالية للمعجم العربي، وأخرج الألفاظ من حدودها القبليّة الضيقة إلى آفاق عقديّة وأخلاقيّة وإنسانيّة أكثر شمولاً. فاللغة التي نزل بها الوحي كانت هي لغة العرب، غير أن القرآن لم يكتف باستعمالها في صورتها الموروثة، وإنما أعاد ترتيب منظومتها المفهوميّة، وربط ألفاظها برؤية توحيدية جديدة، فأصبحت الكلمة القرآنيّة تؤدي وظائف فكريّة وحضاريّة لم تكن معروفة في الاستعمال الجاهلي.

وقد أثار هذا التحول اهتمام الباحثين في الدراسات اللغويّة واللسانيّة والقرآنيّة، لما يكشف عنه من قدرة النص القرآني على إعادة بناء الدلالة من الداخل دون أن يقطع صلته بالمعجم العربي السابق. ومن هنا أصبح مفهوم التطور الدلالي من أهم المفاهيم التي يمكن من خلالها فهم طبيعة الخطاب القرآني، وكيفية انتقاله بالألفاظ من دلالاتها المعجميّة الأولى إلى دلالات شرعيّة وأخلاقيّة وحضاريّة جديدة، بما يبرز إعجاز القرآن في توظيف اللغة وتوجيهها.

وانطلاقاً من ذلك، تتمحور إشكالية هذا البحث حول السؤال الآتي:

كيف تعامل القرآن الكريم مع المعجم العربي الجاهلي؟ وهل اقتصر دوره على المحافظة على الدلالات اللغويّة الموروثة، أم أعاد بناءها وتوجيهها بما يخدم المشروع الحضاري للإسلام؟ وينبثق عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعيّة، أهمها:

- ما المقصود بالتطور الدلالي؟ وما أهم أسبابه؟
- ما الآليات التي اعتمدها القرآن في تعامله مع المعجم العربي السابق؟
- هل ألغى القرآن الدلالات الجاهليّة أم أعاد توجيهها؟
- كيف أسهم التطور الدلالي في الانتقال من الرؤية القبليّة إلى الرؤية الحضاريّة الإسلاميّة؟

وينطلق البحث من فرضية مؤداها أن القرآن الكريم لم يؤسس لغة جديدة منفصلة عن العربية، وإنما أعاد بناء منظومتها الدلالية، فحافظ على كثير من ألفاظها، وأعاد توجيه دلالاتها في ضوء التصور التوحيدي، فكان التطور الدلالي وسيلة لإحداث تحول حضاري شامل، لا مجرد تغير لغوي في معاني الألفاظ.

ويهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم التطور الدلالي وأسبابه، والكشف عن منهج القرآن الكريم في تعامله مع المعجم العربي السابق، وتحليل أبرز مظاهر إعادة بناء الدلالة في الخطاب القرآني، وإبراز أثر ذلك في تأسيس منظومة حضارية جديدة انتقلت بالعقل العربي من المرجعية القبلية إلى المرجعية التوحيدية.

واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال عرض مفهوم التطور الدلالي وأسبابه، وتحليل عدد من الألفاظ القرآنية في ضوء استعمالاتها الجاهلية والقرآنية، مع الاستفادة من المنهج الدلالي المقارن للكشف عن آليات التحول الدلالي وأبعاده الحضارية.

• وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيم البحث إلى أربعة محاور رئيسة: تناول الأول مفهوم التطور الدلالي وأسبابه، وعالج الثاني كيفية تعامل القرآن مع المعجم العربي السابق، وخصص الثالث لبيان الدلالات الجاهلية بين الإلغاء وإعادة التوجيه، أما الرابع فتناول التطور الدلالي في القرآن بوصفه انتقالا حضاريا أعاد بناء الإنسان واللغة والقيم.

أولا / التطور الدلالي مفهومه وأسبابه :

يعتبر مفهوم التطور الدلالي من المصطلحات الدلالية الحديثة التي تحتاج إلى تحرير وتمعن ، و لا يمكن أن نخرج على التطور الدلالي للألفاظ القرآنية إلا إذا مررنا بمفهوم هذا المصطلح و تبينّا أسبابه حتى نستطيع إسقاطه على النصوص القرآنية .

(1) مفهوم التطور الدلالي :

أ- لغة مصطلح مركب من جزأين :

- أولهما : التطور (تفعّل) : و هو بمعنى التغيّر أو الانتقال من حال إلا أخرى ، و " الامتداد في شيء من مكان أو زمان ، من ذلك طَوَارُ الدار ، و هو الذي يمتد معها من فنائها ، و لذلك يُقال : " عدا طَوْرُهُ ، أي جاز الحدّ الذي هو له من داره . ثم استُعيّر ذلك في كل شيء يُتَعَدَّى " (فارس، مقاييس اللغة، 1979، صفحة 430)

و يقصد بالتطور و التغيّر و الانتقال ، كما جاء في المعجم الوسيط " طَوْرُهُ حَوْلُهُ من طور إلى طور " (العربية، المعجم الوسيط، 2004، صفحة 573). و هذا هو المراد عند أكثر الدلالين. -ثانيهما : الدلالي : " و الدلالة: مصدر الدليل (بالفتح و الكسر) " (الفراهيدي، د.ت، صفحة ج08، 8). و في الصحاح : " الدليل الدال ، و قد دلّه على الطريق يدُلُّه دَلَالَةٌ و دِلَالَةٌ و دُلُولَةٌ ، و الفتح أعلى " (حماد، 1990، صفحة 1689)

اصطلاحاً : علم الدلالة في اصطلاح اللغويين " هو علم دراسة المعنى ، و هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى ، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى " . و عند الجرجاني في التعريفين " الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشئ الأول هو الدال و الثاني هو المدلول " (الشريف، 1985، صفحة 63)

-و من خلال ما سبق نخلص إلى أن التطور الدلالي مصطلح من مصطلحات علم الدلالة الحديث ، و هو عبارة عن تغير دلالات و المفردات في اللغة عبر العصور بسبب عدة عوامل فالعوامل التي تؤدي إلى تغيير الألفاظ و المفردات عبر الزمان هي التي تؤدي إلى تغيير دلالاتها ، و عليه قد يلغي أحيانا هذا التطور كلمة و يستبدلها بكلمة أخرى و أحيانا يضيف إليها معنى جديد . و قد لاحظنا ذلك بوضوح بعد ظهور الإسلام ، و نزول القرآن ، إذ عرف هذا النص المعجز العديد من نماذج التطور الدلالي على مر السنين بين القديم و الحاضر .

(2) أسباب التطور الدلالي :

هناك الكثير من العوامل التي أدت و لا تزال تؤدي عبر الأجيال إلى تغيير معاني الكلمات و دلالاتها ، و في هذا السياق يقول الدكتور علي عبدالواحد وافي : " إن اللغة تتأثر في تطورها بعوامل شتى ، يرجع أهمها إلى ست طوائف : إحداها عوامل اجتماعية خاصة تتمثل في حضارة الأمة ، و نظمها و عاداتها و تقاليدها و عقائدها و مظاهر نشاطها العلمي و العقلي ، و ثقافتها العامة ، و اتجاهاتها الفكرية و مناحي وجدانها و نزوعها ... و ثانياً تأثر اللغة بلغات أخرى ، و ثالثاً عوامل أدبية تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة ، و ما تبذله معاهد التعليم و المجامع اللغوية من سبيل حمايتها و الارتقاء بها ، و رابعاً انتقال اللغة من السلف إلى الخلف ، و خامساً عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية و الفيزيولوجية ... و سادساً عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها أصواتها و قواعدها و متنها (وافي ، 1944 ، صفحة 8) .

- و من هنا نجد أن اللغة مستعملة متكلمٌ بها ، يتغير معناها بحسب مراد المتكلم بها ، فقد يستعملها في موضوع و يستعملها غيره في موضع آخر ، فيدلّ بها على معنى معيّن ، و بعد مرور الزمن تختفي دلالتها أو تتغيّر أو تتوسّع لتشمل عدة مدلولات وفق الحاجة و وفق الظروف المحيطة بها .

ثانياً : كيفية تعامل القرآن مع المعجم العربي السابق :

-بعد معرفة مفهوم التطور الدلالي و أسبابه بصفة عامة يجدر الإشارة إلى أن النص القرآني من أكبر النصوص التي أعادت بناء الدلالات العربية فكانت نموذجاً لهذا التطور باعتبار الألفاظ القرآنية تحمل دلالات مختلفة عبر الزمن انطلاقاً من استخدامها للمعجم العربي السابق كامتداد له أولاً ثم إعادة إنتاجه في معاني جديدة و جعل هذا التحول شكل من أشكال الهندسة المفاهيمية بإعادة توجيه دلالات الألفاظ الجاهلية داخل نظام توحيدي .

-من أهم الإشكالات المطروحة في هذا الباب : كيف تعامل القرآن مع المعجم العربي السابق ؟

-لقد تعامل القرآن الكريم مع المعجم العربي السابق تعاملًا واعيًا و مركبًا ، فلم يقطع صلته باللغة العربية الجاهلية ، بل كان موقفه منه موقف استيعاب و إعادة بناء ، و كانت علاقته به علاقة استمرار و تحويل في آن واحد ن فالقرآن لم يأت بلغة جديدة منفصلة عن لغة العرب ، و إنما نزل داخل النظام اللغوي الذي كانوا يستعملونه ، لكنّه أعاد ترتيب مفاهيمه و قيمه من الداخل .

-فالعرب قبل الإسلام كانوا يمتلكون معجماً غنياً تشكل عبر قرون من التجربة البدوية و الاجتماعية و الدينية ، و كانت كثير من الألفاظ مرتبطة بالقبيلة و العصبية و الشرف و الثأر و الوثنية ، و عندما نزل القرآن الكريم استثمر هذا الرصيد اللغوي ، لكنه لم يتركه يؤدي وظائفه القديمة ضمنها بل مارس عليه عمليات متعددة :

(1) الإبقاء : حافظ على الكثير من الألفاظ بمعانيها الأصلية و احتضنها و هذا كان سراً في بقائها و دوامها بل نجد أن القرآن الكريم حفظ لنا معجماً عربياً لا يرقى شك إلى فصاحته و سلامته ، و هذا ما لم يستطع الغرب إنكاره ، فبير روسي يقول في كتابه (مدينة إيزيس) : " إن الإسلام قد جعل من اللغة العربية لغة التعبير العالمية التي لا مثيل لها ، لغة إنسانية قومية في دوامها و استمرارها ، " (روسي، 1982، الصفحات ينظر بتصرف 251-252) (2) الانتقاء : اختار من المعجم ما ينسجم مع خطابه .

(3) التوسيع الدلالي : أضاف معاني جديدة إلى ألفاظ موجودة لهذا يقرر من الدارسين أن القرآن لم يحدث ثورة في الألفاظ فقط بقدر ما أحدث ثورة في المعاني ، و منه ما ورد في قول الراغب الأصفهاني : "...أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ، و من العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المحاور لمن يريد أن يدرك معانيه " (الأصفهاني، 1412 هـ، صفحة 55)،

و عليه رغم بقاء الكلمات العربية المعروفة إلا أن شبكة العلاقات الدلالية التي تربط بينها تغيرت تغيرا عميقا و توسعت دلالاتها ، و تحولت إلى معاني جديدة ، فانتقل مركز الثقل من القبيلة إلى العقيدة ، و من العصبية إلى الأمة ، و من المصلحة الدنيوية إلى المسؤولية الدينية و الأخلاقية ، و هذا هو جوهر عملية التوسيع الدلالي و إعادة بنائه التي مارسها القرآن على المعجم العربي السابق ، و عليه فإن فهم المصطلح القرآني لا يتم بالرجوع إلى المعاجم اللغوية السابقة وحدها بل بدراسة استعمالاتها داخل السياق القرآني كله .

كما نستنتج أن نص القرآن أدى إلى توسيع المعجم العربي السابق و إدخال مفاهيم مجردة جديدة و رفع مستوى التجديد اللغوي .

ثالثا / الدلالات الجاهلية في القرآن الكريم بين الإلغاء وإعادة التوجيه :

عرف العرب قبل الإسلام لغة ثرية قادرة على التعبير الاستعاري ، حبلت بالإمكانات الشعرية ، بيد أن هذه القدرة ظلت محكومة بأفق التجربة الإنسانية المحدود ، و بالشبكة الرمزية للعقلية الجاهلية . و مع نزول النص القرآني لم يتم توظيف هذه اللغة و استثمار طاقاتها فحسب ، بل جرى إعادة بنائها حتى إن الكلمة القرآنية أصبحت معيارا يقاس عليه ما سبقها ، هذا الانزياح الأساسي يمكن وصفه بـ " الصدمة الدلالية " التي واجهها العرب الأوائل حيث وجدوا أنفسهم أمام لغة مألوفة في الظاهر ، متعالية على مألوفها في عمقها و غاياتها ، و يمكن أن نجد العديد من الباحثين الذين تناولوا هذه الفكرة و عبّروا عنها في دراساتهم كتوشيهيكو إيزوتسو الذي بين أن القرآن احتفظ بالألفاظ العربية الموروثة لكنه أعاد بناء شبكاتها الدلالية ، فأصبحت كلمات كالإيمان و الكفر ... تحمل مفاهيم جديدة ضمن رؤية قرآنية " (إيزوتسو، 2007، الصفحات 28-35). كما يرى إيزوتسو أن القرآن لم يبتكر ألفاظا جديدة و إنما أحدث تحولا دلاليا جذريا في الألفاظ العربية المتداولة و هو ما غير البنية الفكرية للعرب " (توشيهيكو، 2008، الصفحات 19-23). و هذا ما ناقشه أحمد ياسين النويري في التطور الدلالي لمفاهيم المعاني في

القرآن الكريم حين تحدث عن ظاهرة التطور الدلالي للألفاظ القرآنية و انتقالها من الدلالة اللغوية إلى الدلالة الشرعية " (النويري، 2017، الصفحات 1875-1883)، التطور الدلالي لمفاهيم المعاني في القرآن الكريم ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، 2017 ، ص 1875-1883 .

و بالتالي قام النص القرآني بخلق امتداد دلالي كما ورد في المرجعية الجاهلية إما عن طريق الانتقال من المعنى الجزئي إلى المطلق الوجودي ، إذ انتقلت بعض الكلمات من دلالتها الحسية المباشرة إلى دلالة وجودية شاملة . فكلية "نور" كانت في الاستعمال الجاهلي تطلق على الضوء المحسوس (نور الشمس ، نور النار) أما في القرآن الكريم تحولت إلى مفهوم ميتافيزيقي و قيمي معرفي : قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (القرآن الكريم،النور، 35). و قام النص القرآني في بعض المواضع إلى توحيد المفهوم مع تكسير المعنى (ما يسمى بالاقتصاد الدلالي) . إذ تمتلك الكلمة القرآنية قدرة على الاحتفاظ بوحدة مفهومية مركزية مع التوسع في الدلالات السياقية . فكلية (قلب) ترد في القرآن : -كعضو جسدي ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (القرآن الكريم،الحجّ، 46) -كمركز للوعي و الإدراك ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (القرآن الكريم،الشّعراء، 89). و مواطن أخرى انزاحت فيها المفردات القرآنية عن المرجعية الشعرية الجاهلية ، فالقرآن كسر هذه المرجعية بخلقه سلطة لغوية مستقلة ، فكلية (كتاب) في الجاهلية تعني المخطوط أو الرسالة ؛ بينما اكتسب في القرآن دلالات متعددة متراكبة : الوحي المنزل (القرآن الكريم،النساء، 105) ، القانون الكوني (القرآن الكريم،فاطر، 11) ، اللوح المحفوظ (القرآن الكريم،الواقعة، 77)، القدر (القرآن الكريم،الحديد، 22) . و هذا الانزياح أنتج لغة كونية تجاوز المحلية القبلية.

و من هذا فغن التطور الدلالي للألفاظ القرآنية له عدة أشكال و مظاهر يمكن إجمالها في الآتي : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (القرآن الكريم، الأنعام، 82) .

1. تعميم الدلالة :

يمكن للفظ أن يكون خاصا بمعنى معين في استعمال معين فيتعمم هذا الاستعمال و يتوسع نتيجة وجود أحد أسباب التطور الدلالي ، فمثلا : كلمة الورود كانت تستعمل قديما لإتيان الماء ثم تعمّمت و توسّعت دلالتها فأصبح كل إتيان يُسمّى ورودا (فارس، أحمد، 1997، صفحة 58) ، أو قد يخرج الاستعمال من اللغة فيتوسع مرة أخرى ككلمة الأسرة فهي تعني الأهل المقربين ثم توسع استعمالها لتشمل كل طائفة أو كل صنف تربطهم علاقة معين ، كأسرة التربية أو الجامعة ... إلخ ، و من نماذج هذا النوع قوله تعالى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل، 20)، الخير في هذه الآية يعم كل خير وقد أستخدم هذا التعميم من التنكير . و قوله تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء، 106) ، في هذه الآية حُذِفَ المعمول ليدل على العموم فَيُستَغْفَرُ من كل الذنوب كبيرها و صغيرها . و قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ (العصر، 2) . ففي الآية جنس الإنسان في خسران و هي دلالة عامة لذلك جاء الاستثناء بعدها في السورة.

2. تخصيص الدلالة :

قد يحصل عكس التعميم فتخصص الكلمة بعد العموم مثل : الحجّ التي تعني في اللغة الدلالة: خصصت دلالتها بقصد مكة المكرمة لأداء عبادة الحج ، و كذلك الصوم فإنه في اللغة مطلق الإمساك ، ثم بعد مجيء الإسلام تخصص معنى الصوم بعبادة الصيام ، و هو الإمساك عن الأكل و الشرب و جميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنيّة . و من نماذج

هذا النوع قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام، 82).

-الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، و هو في هذه الآية قد خُصصت دلالته إذ المقصود الشُّرك.

-الربا : الزيادة في كل شيء و لكنه في عُرْف الشَّارح الزيادة المحرمة في المال . يقول الله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة، 276).

-العمى: يطلق على فقد البصر و لكنّ في القرآن الكريم جاءت الآية في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الإسراء، 72).

-الصلاة: في أصل اللغة هي الدعاء ، و لكن في قوله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة، 43) ، قصد بها العبادة المعروفة في الإسلام.

و عموما نجد أمثلة كثيرة من تخصيص الدلالة في القرآن الكريم و ذلك باعتباره كتاب شريعة الإسلام الدين الجديد الذي لم يكون معروفا عند العرب قبلا.

3) ارتقاء الدلالة :

قد تحمل الكلمة دلالةً عاديةً، فيُكسبها الاستعمالُ المستمرُّ دلالةً أسمى ، فكلمة رسول التي تعني الشخص الذي يرسل لأمر ما ثم تطور معناها في الإسلام فأصبحت تدل على مقام رفيع عالٍ، و من هذا النوع كلمة " الذكر " ، حيث يقول الله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة، 152).

الذكر: في اللغة مطلق النطق باللسان خيرا كان أو شرا ، أمّا في خطاب الإسلام فهو عبادة معروفة متضمنة الثناء لله سبحانه و تعالى ، و يجب فيها حضور القلب ، من هنا تكمن دلالة اللفظ في أبهى رقي لا سيما أن الله سبحانه يذكرُ صاحب هذه العبادة و أي شرف و ثواب سينال.

- قال الله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (النساء، 124). الجنة في اللغة هي البستان (فارس، مقاييس اللغة، 1979، صفحة 421). ولكن في خطاب الإسلام فهي شيء يختلف، إذ فيها ما لا يتصوره العقل و القلب معا.

و من خلال ما سبق ذكره نجد أن القرآن الكريم لم يُلغِ الدلالات الجاهلية إلغاء تاما وإنما انتهج في الغالب استراتيجية إعادة التوجيه الدلالي؛ فقد خاطب العرب بلغتهم، واستعمل ألفاظا كانت متداولة في البيئة الجاهلية، لكنه نقل كثيرا منها من دلالاتها المعرفية أو المحدودة إلى دلالات جديدة تنسجم مع التصور الإسلامي. وبهذا حافظ على استمرارية التواصل اللغوي، وفي الوقت نفسه أحدث تحولا في البنية المفهومية والقيمية للمجتمع.

فالألفاظ مثل التقوى والإيمان والكفر والصلاة والزكاة كانت معروفة في أصلها اللغوي أو في بعض استعمالاتها قبل الإسلام، إلا أن القرآن أعاد تحديد مدلولها، فأصبحت تحمل مفاهيم شرعية وعقدية وأخلاقية أكثر عمقا ودقة. كما أعاد توجيه ألفاظ أخرى ارتبطت في الجاهلية بقيم قبلية أو مادية، لتصبح مرتبطة بمنظومة التوحيد والعدل والمسؤولية. ومع ذلك فإن القرآن ألغى الدلالة الجاهلية في الحالات التي كانت ترتبط بالخرافة والشرك أو الممارسات التي تتنافى وتتناقض مع العقيدة الإسلامية، فلم يُبقِ عليها، بل أبطلها واستبدل بها مفاهيم جديدة. ومن ثم فإن الإلغاء لم يكن موجها إلى اللغة ذاتها، وإنما إلى المضامين العقدية والقيمية الفاسدة التي كانت تحملها بعض الألفاظ.

و عليه فإن الإجابة الأدق هي أن القرآن الكريم لم يُلغِ الدلالات الجاهلية على نحو مطلق، بل أعاد توجيهها وإعادة بنائها في إطار رؤية توحيدية جديدة، ولم يلغ منها إلا ما تعارض مع مبادئ الإسلام وعقيدته. وهذا ما جعل الخطاب القرآني يجمع بين المحافظة على قابلية الفهم لدى المخاطبين، وإحداث تحول عميق في المعاني والقيم.

رابعاً : التطور الدلالي في القرآن والانتقال الحضاري :

يتفرع عن هذه الإشكالية سؤال ضمني يتعلق بصيغة العلاقة بين اللغة و الوعي الحضاري ، و مدى قدرة النصّ القرآني على إنتاج نظام دلالي جديد داخل اللغة نفسها دون اللجوء إلى مفردات دخيلة .

و عليه و بعد دراسة التطور الدلالي للألفاظ القرآنية في ضوء مرجعياتها الجاهلية ، وتحليل آليات إعادة البناء الداخلي داخل الخطاب القرآني نصل إلى أنّه لا يمكن النظر إلى أنّ التحول الدلالي في القرآن كظاهرة لغوية معزولة ، بل هو جزء من مشروع حضاري شامل أعاد تشكيل الإنسان العربي من داخل منظومته اللغوية ، عبر إعادة بناء المفاهيم المركزية التي يقوم عليها الوعي الفردي و الجماعي ، و بذلك تصبح اللغة عنصراً فاعلاً في تشكيل الحضارة ، لا مجرد انعكاس لها .

التطور الدلالي في القرآن الكريم لا يمكن اختزاله في كونه مجرد انتقال لغوي يتمثل في تغيير معاني الألفاظ أو لتوسيعها ، و إنّما هو انتقال حضاري شامل اتخذ اللغة وسيلة له ، فالقرآن لم ينزل ليؤسس معجماً لغوياً جديداً فحسب، بل جاء ليحدث تحولاً جذرياً في رؤية الإنسان إلى الله و الكون و المجتمع و القيم .و لذلك كان التغيير الدلالي جزءاً من مشروع حضاري متكامل . فقد كان للقرآن الكريم دور في إعادة بناء الوعي العربي و تحويل اللغة إلى أداة لصناعة الحضارة ، إذ تشكلت داخله منظومة مصطلحية جديدة أصبحت أساس الفكر الإسلامي ، وبذلك تجاوزت اللغة وظيفتها التواصلية نحو وظيفة وجودية هادية متحررة من قيود التجربة البشرية المحدودة ، ما يضمن استمرار حيوية النصّ القرآني و قدرته على توليد المعنى عبر العصور .

لقد خاطب القرآنُ العربَ بلغتهم ، لكنه لم يترك الألفاظ محكومة بدلالاتها الجاهلية ، بل أعاد توجيهها لتنسجم مع الرؤية التوحيدية الجديدة .فالكثير من الألفاظ كانت معروفة قبل

الإسلام غير أن القرآن الكريم منحها أبعادا عقائدية و أخلاقية و تشريعية و حضارية لم تكن مألوفة ، و من أبرز الأمثلة على ذلك :

-الإيمان : كان يدل على مجرد الأمن أو التصديق ، فأصبح في القرآن عقيدة وسلوكا والتزاما عمليا.

-الكفر: كان يعني الستر و التغطية ، ثم أصبح يدل على جحود الحق بعد ظهوره.

-الأمة : انتقلت من الدلالة على الجماعة المرتبطة بالنسب أو القبيلة إلى جماعة المؤمنين التي تجمعها الحياة .

-التقوى : تحولت من معني الوقاية العام إلى حالة روحية و أخلاقية تقوم على مراقبة الله و الالتزام بأوامره .

-العبادة : لم تعد مجرد شعائر أو طقوس ، بل أصبحت تعني الخضوع الكامل لله في جميع مجالات الحياة.

و هذا التحول يدل على أن القرآن لم يغيّر معاني الكلمات لغاية لغوية بحتة ، و إنّما غيّر الإنسان الذي يستخدم هذه الكلمات ، فاللغة كانت أداة لنقل رؤية جديدة للعالم ، و لذلك ارتبط التطور الدلالي بتحول في منظومة القيم و المعايير و السلوك .

و قد أشار طه عبدالرحمان إلى أن القرآن لم يكتفِ باستعمال اللغة العربية ، بل ارتقى بها من أفق التجربة الجاهلية المحدودة إلى أفق الهداية و الاستخلاف ، فأصبحت اللغة حاملة لمعانٍ أخلاقية و روحية جديدة " ينظر: (عبدالرحمان، 1998، الصفحات 233-240). و من هنا فإن تطور الدلالة في القرآن يعكس انتقالا من العقلية القبليّة إلى العقلية التوحيدية ، و من ثقافة العصبية إلى ثقافة العدل و الرحمة و المسؤولية .

-كما يرى محمد عبدالله دراز أن الألفاظ القرآنية اكتسبت قوتها من ارتباطها بالوحي ، فلم تعد مجرد وحدات لغوية ، بل أصبحت مفاهيم مؤسسة لحضارة كاملة " (دراز، 1997، صفحة 106) ، و هو ما يفسر استمرار تأثيرها في تشكيل الثقافة الإسلامية عبر القرون .

لذلك ، فإنّ الإجابة العلمية عن هذه الإشكالية هي أنّ التطور الدلالي في القرآن الكريم يمثل انتقالا حضاريا تحقق من خلال انتقال لغوي ، فالتحول اللغوي لم يكن غاية في ذاته ، وإنّما كان وسيلة لإعادة بناء العقل و الوجدان و المجتمع . لقد أعاد القرآن صياغة المعجم العربي بما يتلاءم مع منظومة التوحيد ، فغيّر الدلالات ، و أعاد ترتيب العلاقات بين المفاهيم ، و أسس رؤية جديدة للإنسان و الوجود ، و هو ما جعل اللغة القرآنية منطلقا لتحول حضاري غير مسبوق في تاريخ العرب ، ثم في تاريخ الإنسانية الإسلامية بأسرها ، فكل تطور دلالي في القرآن يخدم مشروعا حضاريا أوسع ، يجعل من الكلمة القرآنية أداة لبناء الإنسان و إقامة مجتمع يقوم على الإيمان و العدل و الأخلاق.

الخاتمة

يتبين من خلال هذه الدراسة أن التطور الدلالي في القرآن الكريم لا يمثل مجرد ظاهرة لغوية تقتصر على انتقال الألفاظ من معنى إلى آخر، وإنما يشكل آلية مركزية من آليات بناء الرؤية القرآنية للعالم، إذ استثمر القرآن المعجم العربي السابق بوصفه وعاء للتواصل مع العرب، ثم أعاد تشكيله وفق منظومة التوحيد، فنقل كثيرا من الألفاظ من دلالاتها الحسية أو القبلية إلى دلالات عقدية وأخلاقية وتشريعية وحضارية أكثر عمقا واتساعا. وقد كشف البحث أن القرآن لم يلغ التراث اللغوي العربي، بل تعامل معه بمنهج يقوم على الاستيعاب والانتقاء وإعادة البناء، فاحتفظ بما ينسجم مع رسالته، ووجّه دلالاته وجهة جديدة، وأبطل ما ارتبط بالشرك والخرافة والانحراف القيمي. وبهذا غدت اللغة القرآنية أداة

لإعادة بناء الإنسان قبل أن تكون مجرد وسيلة للتعبير، وأصبحت الكلمة القرآنية وحدة حضارية تؤسس للوعي، وتعيد صياغة علاقة الإنسان بالله والكون والمجتمع.

ومن ثم، فإن التطور الدلالي في القرآن الكريم يمثل انتقالا حضاريا تحقق من خلال انتقال لغوي؛ إذ لم يكن تغيير الدلالة غاية في ذاته، وإنما كان وسيلة لإحداث تحول شامل في الفكر والقيم والسلوك، وهو ما يفسر خلود الخطاب القرآني وقدرته على إنتاج المعنى عبر مختلف العصور.

أهم النتائج

1. أثبت البحث أن التطور الدلالي يعد من أبرز مظاهر حيوية اللغة، وأن القرآن الكريم يمثل أرقى نموذج لتوظيفه في إعادة بناء المفاهيم .

2. لم يأت القرآن بمعجم لغوي جديد، وإنما أعاد توجيه المعجم العربي الجاهلي داخل نسق توحيدي متكامل .

3. اعتمد القرآن في تعامله مع اللغة العربية على ثلاث آليات رئيسة: الإبقاء، والانتقاء، والتوسيع الدلالي .

4. لم يكن موقف القرآن من الدلالات الجاهلية قائما على الإلغاء المطلق، بل على إعادة التوجيه، ولم يبلغ إلا ما تعارض مع العقيدة الإسلامية .

5. أبرزت الدراسة أن كثيرا من الألفاظ القرآنية انتقلت من الدلالة الحسية أو القبلية إلى دلالات عقدية وأخلاقية وتشريعية، مثل: الإيمان، والكفر، والتقوى، والصلاة، والزكاة، والأمة .

6. بينت الدراسة أن التطور الدلالي في القرآن يمثل انتقالا من المرجعية القبلية إلى المرجعية الحضارية الإسلامية، ومن ثقافة العصبية إلى ثقافة الاستخلاف والعدل والمسؤولية .

7. أكدت الدراسة أن فهم المصطلحات القرآنية لا يتحقق بالرجوع إلى المعاجم اللغوية وحدها، بل بدراسة استعمالها داخل السياق القرآني وشبكة علاقاتها بالمفاهيم الأخرى .

8. خلص البحث إلى أن اللغة في القرآن ليست أداة للتواصل فحسب، بل هي وسيلة لإعادة تشكيل الوعي الإنساني وبناء الحضارة، وهو ما يفسر استمرار فاعلية الدلالة القرآنية عبر الأزمنة.

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المراجع:

- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، القاهرة: عالم الكتب، 1998 .
- ابن فارس، أحمد، الصحاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997 .
- ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1، بيروت: دار الفكر، 1979 .
- إيزوتسو، توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة: هلال محمد الجهاد، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007 .
- إيزوتسو، توشيهيكو، المفهومات الأخلاقية الدينية في القرآن، ترجمة: عيسى علي العاكوب، حلب: دار الملتقى، 2008 .
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1985 .
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج4، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1990 .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد: دار ومكتبة الهلال، د.ت .
- دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الحميد الدخاخي، ط1، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997 .
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق: دار القلم، 1412هـ .
- روسي، بيير، مدينة إيزيس: التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة: فريد جحا، دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 1982 .
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998 .
- عبد الواحد وافي، علي، علم اللغة، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1944 .

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004 .
- النويري، أحمد ياسين عبد الكريم، «التطور الدلالي لمفاهيم المعاني في القرآن الكريم»، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، العدد 35، الجزء الثاني، 2017.

سير المؤلفين

حوماد صليحة أستاذة متحصلة على شهادة الدكتوراه تخصص نقد أدبي حديث ومعاصر بجامعة جيلالي ليايس ولاية سيدي بلعباس ، من مواليد 21 أكتوبر 1989 بعين وسارة ولاية الجلفة ، لها اسهامات في البحث العلمي منها مقالين دوليين وكتاب من تأليفها ، حاليا تدرس في الطور الثانوي برتبة: أستاذة التعليم الثانوي قسم ثان.